الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه إلى يوم الدين ، أما بعد:-

فهذا شرح مختصر وجيز على (حائية ابن أبي داود)، وقبل الشروع في هذا الشرح المختصر ، أذكر مقدمة فيها التعريف بصاحب هذه المنظومة ، والتعريف بالمنظومة المعروفة بحائية ابن أبي داود.

التعريف بالمؤلف

اسمه: عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ، يكنى بأبي بكر ، ووالده هو الإمام الحافظ ، إمام أهل السنة والجماعة صاحب كتاب السنن سليمان بن الأشعث المشهور بأبي داود السجستاني.

مولده ووفاته

ولد رحمه الله تعالى سنة ثلاثين ومئتين في سجستان وهي بلدة في شرق إيران ، وتوفي سنة ست عشرة وثلاثمئة.

شيوخه

*والده سليمان بن الأشعث الإمام الحافظ.

*محمد بن يحيى الذهلي

*ومحمد بن بشار بندار ، وغيرهم كثير.

تلاميذه

*الإمام الدارقطني

*وأبو أحمد الحاكم وهو من شيوخ أبي عبدالله الحاكم صاحب المستدرك.

*وعبدالرحمن بن أبي حاتم ابن الإمام المشهور وغيرهم ممن استفاد منه.

ثناء العلماء عليه

قال عنه الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى:" كان فقيها عالما حافظا"

وقال ابن خلكان رحمه الله تعالى:" كان أبو بكر بن أبي داود من أكابر الحفاظ ببغداد ، عالما متفقها إماما".

وقال الذهبي رحمه الله تعالى:" كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين ما هو بدون أبيه ، صنف التصانيف وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد "

وقال أيضا:" والرجل من كبار علماء المسلمين ومن أوثق الحفاظ "

التعريف بالمنظومة الحائية

تسمى هذه المنظومة بالحائية ؛ لانتهاء أواخر أحرف الأبيات بحرف الحاء ، كما تسمى الأبيات التي أواخرها حرف النون بالنونية ، والتي تنتهي بحرف الراء بالرائية ، وهكذا.

وعدد أبيات هذه المنظومة ثلاثة وثلاثين.

وتحتوي هذه المنظومة على أبرز مسائل الاعتقاد التي يتميز فيها السني عن البدعي ، فأكثر هذه المسائل المذكورة حصل فيها خلاف بين أهل السنة والجماعة وبين المبتدعة ، فالناظم رحمه الله تعالى ذكر هذه المسائل ليتمسك بها السني ويحذر من الوقوع في خلافها ، فأول المسائل : مسألة صفة الكلام لله جل جلاله وما يتفرع عنها ، ثم مسألة رؤية الله عز وجل ، ثم صفة اليدين لله عز وجل ثم صفة نزوله جل جلاله إلى سمائه الدنيا ، ثم مسألة الصحابة رضي الله عنهم إلى آخر ما جاء في هذه المنظومة مما سيتم توضيحه في محله بإذن الله عز وجل.

(المقدمة وفيها الحث على التمسك بالكتاب والسنة)

تَمَسّكْ بِحَبْلِ الله واتَّبِعِ الهُدَى * ولا تَكُ بِدْعِيًا لعَلَّكَ تُفْلِحُ

ودِنْ بِكِتَابِ الله والسُّنَنِ التي * أتتْ عن رسُول الله تَنْجُو وتَرْبَحُ

الشرح : ابتدأ الناظم رحمه الله تعالى الأبيات بالنصيحة فقال تمسك بحبل الله أي : اعتصم بحبل الله ، وحبل الله لها معاني عديدة والمراد هنا بحل الله أي القرآن ، وقوله واتبع الهدى أي اتبع ما بُعِثَ به النبي صلى الله عليه وسلم ففي اتباعه صلوات ربي وسلامه عليه الهداية والرشاد.

فنصح الناظم رحمه الله تعالى التمسك بالقرآن والسنة ، وما أحسنها من نصيحة.

ثم قال محذرًا : ولا تك بدعيًا ، أي لا تكن من أهل البدع بل كن سنيًا سلفيًا كما كان سلفك الصالح عليهم الرضوان والرحمة ، لعلك –وهذا رجاء من الناظم– ، أن تكون من المفلحين الناجين والفلاح هو الفوز والسعادة وفي اتباعك للكتاب وهدي النبي صلى الله عليه وسلم سعادة في الدنيا والآخرة.

وقول الناظم : **ودِنْ بِكِتَابِ الله والسُّنَنِ التي * أتتْ عن رسُول الله تَنْجُو وتَرْبَحُ**

أي تدين واعتقد بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا التدين والاعتقاد ما سيتم ذكره في هذه المنظومة من المسائل الاعتقادية التي يجب على السني أن يتدين ويعتقدها ؛ لأنها هي العقيدة الإسلامية الصحيحة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ففي اتباع ذلك الفوزُ والنجاةُ والفلاحُ في الدنيا والآخرة.

ثم تكلم الناظم رحمه الله تعالى عن أول هذه المسائل الاعتقادية وهي مسألة صفة الكلام لله جل جلاله والتي تفرع عنها مسألة القرآن الكريم هل هو مخلوق أو غير مخلوق ، والناس في هذه المسألة على أقسام :-

الأول : وهم أهل السنة والجماعة ، يقولون : أن كلام الله تعالى صفة من صفاته عز وجل ، وصفاته سبحانه غير مخلوقة ، ومن بعض كلامه : القرآن الكريم ، فهو من بعض كلام الله عز وجل ، غير مخلوق ، ومن قال أن كلام الله عز وجل مخلوق فهو كافر عند أهل السنة والجماعة.

الثاني : الذين يقولون أن كلام الله مخلوق ، وعليه فالقرآن مخلوق وهذا مذهب الجهمية ، وهذا كفر كما سيأتي من كلام الأئمة.

الثالث : الذين يقولون نتوقف فلا نقول مخلوق أو غير مخلوق ، ويسمون بالواقفة أو الشاكة.

الرابع : الذين يقولون لفظي بالقرآن مخلوق ، وهؤلاء يسمون اللفظية ، وهؤلاء في حقيقة قولهم يحتالون بقولهم أن لفظي بالقرآن مخلوق ، لكي يتوصلوا للقول أن القرآن مخلوق.

فهذه الأقسام الثلاثة الأخيرة كلها مذاهب باطلة بدعية يجب الحذر منها.

(كلام الله غير مخلوق)

وقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيْكِنَا * بذلك دَانَ الأتقِيَاءُ وأفْصَحُوا

الشرح : وهذا هو المذهب الأول مذهب أهل السنة والجماعة : قل أيها السني واعتقد وتدين : أن كلام الله عز وجل غير مخلوق ؛ لأنه صفة من صفاته وصفات ربنا جل جلاله غير مخلوقة ومن قال بخلق صفة من صفاته فهو كافر ، ومن بعض كلامه سبحانه القرآن الكريم ، فهو من كلام الله كما قال سبحانه ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦] فعقيدة المسلم السني : أن كلام الله عز وجل صفة من صفاته غير مخلوق ، وهذا هو اعتقاد السلف الصالح .

قال : "وبذلك دان الاتقياء" أي بهذا القول اعتقد الاتقياء من الأئمة السابقين من السلف ، وقوله: "وأفصحوا " يعني وأظهروه للناس.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : « من قال : القرآن مخلوق فهو عندنا كافر ؛ لأن القرآن من علم الله عز وجل ، وفيه أسماء الله عز وجل»(١) اهـ

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : « من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر »(٢) اهـ.

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى : « من قال القرآن مخلوق فقد كفر »(٣)اهـ

وأقوال العلماء كثيرة فقد ذكر اللالكائي رحمه الله تعالى في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) قرابة خمسمئة قول لعالم من علماء المسلمين كلهم يقولون أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر. قال رحمه الله تعالى بعدما ذكر الأسماء: « فهؤلاء خمسمئة وخمسون نفْسًا أو أكثر من التابعين ، وأتباع التابعين ، والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام. وفيهم نحو من مئة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة.. »(٤)إلـخ قوله.

---

(١) انظر: السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٠٥) ط الثانية ، دار ابن القيم ، تحقيق محمد القحطاني.

(٢) انظر: السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١١٤) ط الثانية ، دار ابن القيم ، تحقيق محمد القحطاني.

(٣) انظر: السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٢٠) ط الثانية ، دار ابن القيم ، تحقيق محمد القحطاني.

(٤) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٣٤٤) ط الثامنة، دار طيبة ، تحقيق أحمد الغامدي.

(بدعة الوقف بالقرآن)

ولا تَكُ في القُرآنِ بالوَقْفِ قائِلًا * كما قالَ أتباعٌ لِجَهْمٍ وأسْجَحُوا

الشرح : وهذا مذهب الواقفة : الذين يتوقفون فلا يقولون القرآن مخلوق ولا غير مخلوق ، وهؤلاء اعتبرهم علماء السلف شرٌ من الجهمية ، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى عنهم : «هم شر من الجهمية»[1] اهـ

وقال قتيبة بن سعيد رحمه الله تعالى : «هؤلاء – يعني الواقفة – شر منهم ، ممن قال القرآن مخلوق»[2] اهـ

وقال عثمان بن أبي شيبة رحمه الله تعالى : « هؤلاء الذين يقولون كلام الله ويسكتون ، شرٌّ من هؤلاء»[3] اهـ ،يعني ممن قال القرآن مخلوق.

فالناظم رحمه الله يحذرك أيها السني من أن تقول بمقالتهم ، فأنت إن عرفت مذهبك السني السلفي في هذه المسألة سهل عليك حينها معرفة المذاهب الضالة لتبتعد عنها.

وقول الناظم : "كما قال اتباع لجهم وأسجحوا" ، اعتبر هؤلاء الواقفة الشاكة من أتباع جهم ، وجهم هو الجهم بن صفوان قال عنه الذهبي رحمه الله تعالى : « أس الضلالة ورأس الجهمية»[4] اهـ وإليه ينسب مذهب الجهمية ، فكل من يقول بمقالاته البدعية يقال عنه جهمي.

وقوله : "أسجحوا"، أي لانوا وتساهلوا بهذه المسألة.

---

(١) انظر: السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٦٦) ط الثانية ، دار ابن القيم ، تحقيق محمد القحطاني.

(٢) انظر : مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (ص٣٦٢) ط الأولى ، مكتبة ابن تيمية ، تحقيق طارق بن عوض الله.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر : ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦).

(بدعة القول لفظي بالقرآن مخلوق)

ولا تقُلِ القُرآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً * فإنَّ كلامَ الله باللفظِ يُوضَحُ

الشرح : وهذا مذهب من يسمون باللفظية : يعني الذين يقولون : لفظي بالقرآن مخلوق ، فلا يصرحون أن القرآن مخلوق ، فالناظم رحمه الله تعالى يحذرك من القول بهذا المذهب البدعي ؛ لأن هؤلاء يريدون بهذا القول أن يقولوا أن القرآن مخلوق لكن جاءوا بهذه الطريقة الملتوية فقالوا أن لفظي بالقرآن مخلوق ، وفي المسألة تفاصيل كثيرة ليس هذا المقام لذكرها.

فالمقصود أن تعرف مذهب أهل السنة والجماعة وتتمسك به ، وتعرف أن هناك مذاهب بدعية في مسألة كلام الله جل جلاله والقرآن الكريم تسمى : الجهمية ، واللفظية ، والواقفة.

*****

ثم تكلم الناظم رحمه الله تعالى عن مسألة رؤية الله جل جلاله ، وهي من المسائل التي خالف بها أهل البدع الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة ، إذ رؤية الله عز وجل ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف ، ولا ينكر رؤية الله عز وجل إلا أهل البدع ، والمقصود بالرؤية هو رؤية الله عز وجل في الآخرة لا في الدنيا ، إذ أنه لم ير أحد ربنا جل جلاله في الدنيا ، ولا يمكن لأحد أن يراه في الدينا ، وأما الأدلة فكلها دالة على رؤية الله عز وجل في الآخرة.

إذن عندنا مسألتان :-

الأولى : رؤية الله في الدنيا وهذه لم تحصل لأحد.

والثانية : رؤية الله عز وجل في الآخرة ، وهذه لا تكون إلا للمؤمنين ، فالكفار لا يرون ربنا جل جلاله كما قال سبحانه ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]

وقال الإمام إسماعيل الصابوني حاكيًا عقيدة السلف وأهل الحديث : « ويشهدُ أهل السنة أن

المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم ، وينظرون إليه ، على ما ورد به الخبر الصحيح ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر).. »[١] اهـ

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى وقد بلغه عن رجلٍ أنه قال: إن الله لا يرى يوم القيامة، فغضب لذلك غضباً شديداً رحمه الله تعالى وقال: « إن من قال: إن الله لا يرى يوم القيامة فقد كفر، وعليه لعنة الله وغضبه كائناً من كان من الناس، أليس الله تعالى يقول﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. »[٢] اهـ

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : «الرؤية من كذب بها فهو زنديق»[٣] اهـ.

*****

(مسألة رؤية الله عز وجل مع نفي التمثيل والولد له سبحانه)

وقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً * كما البَدْرُ لا يَخْفَى ورَبُّكَ أَوْضَحُ

الشرح : قل أيها السني وأعتقد أن الله عز وجل يتجلى للخلق ، أي يظهر للخلق يوم القيامة ويرونه جهرة :أي عيانًا ، وهذا في الآخرة ، فكما أنك ترى البدر إذا انتصف الشهر بوضوح لا يُزاحمك أحد على رؤيته ، فإنك سترى الله عز وجل يوم القيامة أوضح من رؤيتك لهذا البدر إذا انتصف الشهر ، ولا يُزاحمك أحد في رؤيته سبحانه ، وسيأتي الدليل على هذا بعد قليل.

فهذا تشبيه في كيفية الرؤية لا في المرئي.

---

(١) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ٢٦٣) ط الثانية ، دار العاصمة، تحقيق الجديع.

(٢) انظر : الشريعة للآجري ( )

(٣) انظر : حادي الأرواح (ص٣٣٩) ،دار المدني.

(الرد على النصارى والمشبهة)

وليْسَ بِمَوْلُودٍ وليْسَ بِوَالِدٍ * وليْسَ لَهُ شَبَهٌ تعالى المُسَبَّحُ

الشرح : قوله ليس بمولودٍ وليس بوالدٍ فيه رد على النصارى واليهود والمشركين الذين يزعمون أن لله تعالى وتقدس البنين والبنات، وقد قال الله تعالى في سورة الإخلاص : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣]

وقوله : وليس له شَبَهٌ تعالى المسبح ، نزه نفسه سبحانه وتعالى من أن يكون له شبيه ، وهذا فيه رد على المشبهة ، والمشبهة هم الذين يزعمون أن صفات الله عز وجل تشابه صفات المخلوقين ، يعني يقولون لله عين مثل عيني ويقولون لله يد كيدي ، ويقولون لله سمع كسمعي وبصر كبصري وهكذا فهؤلاء مشبهة ، وهؤلاء كفار.

قال نعيم بن حمّاد رحمه الله تعالى : « من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف اللهُ به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف اللهُ به نفسه ولا رسوله تشبيها "[1] اهـ

فالواجب أن تثبت هذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة من غير أن تعتقد أنها تماثل المخلوقات؛ لأن الله عز وجل لا مثيل له ، كما قال سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] ففي هذه الآية نفى أن يكون له مثيل ، ومع هذا أثبتَ لنفسهِ صفتيْ السمعِ والبصرِ ، إذن لا يلزم من إثبات الصفات لله عز وجل وجود مماثلة بين الله وبين مخلوقاته ، فمن اعتقد وجود هذه المماثلة فهو كافر ، وإنما هذا صنيع قوم بالغوا في إثبات الصفات حتى وصل بهم الأمر تشبيه الله بمخلوقاته والعياذ بالله.

فالمقصود : أن لله عز وجل صفات تليق به ، ثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة ، يجب اعتقادها على ظاهرها ، من غير تشبيه هذه الصفات بصفات المخلوقات لأن هذا التشبيهَ يوقِعُ معتقدَهُ في الكفر.

---

(١) انظر : العلو للعلي الغفار (ص١٧٢) ، أضواء السلف ، تحقيق أشرف بن عبد المقصود.

(دليل إثبات رؤية الله عز وجل)

وقَدْ يُنْكِرِ الجَهْمِيُّ هذا وعِنْدَنَا * بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيْثٌ مُصَرِّحُ
رواهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ * فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ

الشرح : الجهمي كما سبق أن قلنا : أنه نسبة لجهم بن صفوان ، وهو من الذين ينفون عن الله عز وجل الصفات ، إذ يجعلون الله عز وجل بلا صفات فكل من ينكر صفات الله يقال عنه جهمي نسبة لمن أشهر القول بنفي الصفات ، فيعرف أنه مبتدع ضال.

فمن هذه الصفات التي ينكرها الجهمية صفة رؤية الله عز وجل ، والسني لا يبالي بهؤلاء المبتدعة ، ما دام عنده حجج وبراهين تدل على اعتقاده ، فكأن الناظم يقول لك أيها السني : وقد ينكر عليك الجهمي إثباتك صفة الرؤية لله عز وجل ، فلا تبالي به ؛ لأنه عندنا حديث صحيح صريح في هذا ، يرويه جَرير بن عبدالله البجلي وهو صحابي عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فقل بما جاء في هذا الحديث تنجو من الوقوع في البدعة.

وهذا الحديث هو ما رواه (البخاري ومسلم)[1] عن جرير بن عبد الله، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال: «إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]

وأختم بهذا الحديث وهو ما جاء عن صهيب؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَىٰ مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ.

(١) أخرجه : البخاري (ح٥٥٤) ومسلم (ح٦٣٣).

فَيَقُولُونَ وَمَا هُوَ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ ؟ ».

قال: « فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا أَقَرَّ بِأَعْيُنِهِمْ »(١)

(إثبات صفة اليمين لله عز وجل)

وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أيضًا يَمِيْنَهُ * وكِلْتَا يَدَيْهِ بالفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

الشرح : في هذا البيت يتكلم الناظم رحمه الله تعالى عن صفة إثبات اليد لله عز وجل ، فالجهمي ينكر أن لله تعالى يدين ، والله عز وجل أثبت لنفسه صفة اليد ، قال جل وعلا مخاطبًا إبليس ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا »(٢)

قوله : "بالفواضل تنفح" الفواضل جمع فاضلة وهي الأمور المحبوبة المطلوبة للناس ، والنفح هو الإعطاء.

---

(١) أخرجه : مسلم (ح١٨١)، والترمذي (ح٣١٠٥) بنحوه، وابن ماجه (ح١٨٧)، وأحمد (ح١٨٩٦١) واللفظ له.

(٢) أخرجه : مسلم (ح١٨٢٧).

(إثبات نزول الله جل جلاله إلى السماء الدنيا)

وقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ * بِلا كَيْفٍ جَلَّ الوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ

إلى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ * فَتُفْرَجُ أبْوَابُ السَّمَاءِ وتُفْتَحُ

يقُوْلُ : ألا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا * ومُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا ورِزْقًا فيُمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لا يُرَدُّ حَدِيْثُهُمْ * ألا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوْهُمْ وَقُبِّحُوا

الشرح :في هذه الأبيات يذكر الناظم رحمه الله تعالى صفة النزول لله عز وجل ، فقل أيها السني واعتقد أن الله سبحانه وتعالى ينزل كل ليلة ، كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا النزول نزول يليق بجلال الله وعظمته ، لا يشبه نزول المخلوقين ، ولا ينبغي الخوض في كيفية هذا النزول ، فعلينا أن نثبت أن الله تعالى ينزل كما جاء في الحديث إلى طبق الدنيا أي إلى سماء الدنيا –فالطبق يعني السماء– كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ »(١)

فحديث النزول بلغ التواتر يعني رواه كثير من الناس ولذا قال الناظم رحمه الله تعالى :

رَوَىٰ ذَاكَ قَوْمٌ لا يُرَدُّ حَدِيْثُهُمْ * ألا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوْهُمْ وَقُبِّحُوا

إذ رواه كثير من الصحابة الأجلاء كأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعثمان بن أبي العاصي ومعاذ بن جبل وأبي أمامة وعقبة بن عامر وأبي ثعلبة ورفاعة الجهني وعبادة بن الصامت وعمرو بن عَبَسَة وأبي هريرة وأبي الدرداء وأبي موسى الأشعري وجابر بن عبدالله وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعائشة وأم سلمة رضي الله عنهم أجمعين.

فقبح الله من يرد كلام السلف وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

*****

---

(١) أخرجه : البخاري (ح١١٤٥) ومسلم (ح٧٥٨).

لما انتهى الناظمُ من ذِكر بعض المسائل المتعلقة بصفات الله عز وجل انتقل إلى مسألة الصحابة رضي الله عنهم.

والصحابي : هو كُل من لقي النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ومات على دينِ الإسلام.

وقد يقول قائل : ما سبب ذكر الصحابة في عقيدةِ أهلُ السنة والجماعة ؟ فالجواب : أنه قد ظهر أُناس يُبغضون الصحابة ويعتقدون كُفُرهم كُلهُم إلا عِدة أنفارٍ ، ثلاثة أو أربعة ، كما يقول الرافضةُ لعنهم الله تعالى ، وكالخوارج الذين كفّروا بعض الصحابة دون بعض ، ومن خوارج هذا العصر طائفة الإباضية وهم يعتقدون -كما ثَبَتَ في كُتُبِهم - كُفْرَ عثمانَ وعلي وطلحةَ والزبير وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا ، وبَقِيَ أهل السنة والجماعة على الأصل -وهو نُصرةُ الصحابة ومحبَتهم والترضي عليهم- ، فحتى يُعرف ويظهر الفرق بين السنيّ وبين المُبتدع ، ذكر أهل العلم اعتقاد أهل السنة في الصحابة في كتب الاعتقاد ، وأن الواجب محبتُهُم ونُصرتهم وأن من علامة السنيّ أن يُحبهم ويترضى عليهم.

فمحبةُ الصحابةِ رضي الله عنهم دينٌ يُتقرب به إلى الله عز وجل فهم الذين أوصلوا لنا هذا الدين ، وهم الذين فتحوا الفُتوحات الإسلامية ونشروا التوحيد والسنة بين الناس ، فعلى أيديهم انتشر الإسلام ، فالواجبُ علينا أن نُحِبهُم ونُراعي حقهم ، قال الطحاويُّ رحمه الله تعالى في عقيدتهِ الطحاوية : « ونُحِبُّ أصحابَ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ولا نُفَرِّط في حُبِّ أحَدٍ مِنْهُم ، ولا نتبرَّأُ مِن أحَدٍ مِنْهُم ، ونُبْغِضُ مَن يُبْغِضُهُمْ ، وبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ ، ولا نَذْكُرُهُمْ إلا بِخَيْرٍ ، وحُبُهُمْ دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ ، وبُغْضُهُمْ كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ» اهـ

فمن إحدى علامات السنيُّ محبته للصحابةِ كُلَهُم والترضِّي عليهم أجمعين ، والسكوتُ عمّا شجر بينهم ، واعتقادُ فضلهم وخيريتهم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.. »[١]

(١) أخرجه : البخاري (ح٢٦٥٢) ومسلم (ح٢٥٣٣).

فالقصدُ أن من علامةِ المُبتدع الطعنُ في الصحابةِ ، ومن إحدىٰ علاماتِ كون المسلم سُنيًا : حُبُه للصحابةِ جميعًا دون إفراطٍ ولا تفريطٍ.

والصحابةُ رضي الله عنهم يتفاضلون فيما بينهم في الفضل ، فالمهاجرون أفضل الصحابةِ ومن أفضل المهاجرين من الصحابة أبي بكرٍ ثم عمر ثم عثمان ثم عليٌ ثم بقيّةُ العشَرةِ المبشرين بالجنةِ وسيأتي ذِكرهم بعد قليل.

ثم الأنصارُ ، ثم أهلُ بدرٍ ، يعني الذين شهدوا غزوة بدر ، ثم أهلِ بيعَّة الرضوان ، وهم الذين بايعوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم تحت الشجرةِ في القصةِ المعروفةِ ، ثم الذين اسلموا قبلَ فتحِ مكةَ ، ثم الذين اسلموا بعد فتحِ مكةَ .

فهذا في الجملةِ التفاضلُ بين الصحابةِ رضي الله عنهم. وذكر الناظمُ رحمه الله تعالىٰ أفضلُ هؤلاء الصحابة وكلهم من المهاجرين ، وبيّن عقيدة السُّني تجاه جميع الصحابة عمومًا كما سيأتي.

ومجمل اعتقاد أهل السنة في الصحابة :-

١- محبة الصحابة كلهم دون استثناء

٢- الصحابة كلهم عدول

٣- الترضي عليهم

٤- الاستغفار لهم

٥- ذكر فضائلهم ومنازلهم ونشرها

٦- أن الصحبة اصطفاء رباني

٧- أكمل البشرية إيمانًا وتقوىٰ بعد الأنبياء والمرسلين

٨- أنهم قدوة لنا إلىٰ قيام الساعة

٩- معصومون في الجملة

١٠- أعظم الأمة أجورًا وحسنات

١١- البعد عن زلاتهم وأخطائهم

١٢- الإمساك عما شجر بينهم

١٣- التعرف على سيرهم وأخبارهم

١٤- الدفاع عنهم

(اعتقاد أهل السنة في الصحابة)

وَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * وَزِيراهُ قُدْمًا ، ثُمَّ عُثْمَانُ الأَرْجَحُ

وَرابِعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم * عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ ، بالخَيرِ مُنْجِحُ

الشرح : أي اعتقد وقل أيها السِنيُّ أن أفضلَ الناسِ وخيرهُمُ بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وزيراهُ ، يعني أبيِّ بكر الصِّديق ثم عمر رضي الله عنهما.

ثم عثمان رضي الله عنه ، وقول الناظم : ثم عثمان الأرجح ؛ لأنه كان هناك خلافٌ أيهما أفضل عثمان أم علي ؟ فترجح عند أهل السنة وهو ما اتفق عليه المهاجرون والأنصار : أن عثمان رضي الله عنه أفضل ثم بعده علي رضي الله عنهم وكلهم ذو فضلٍ وإحسانٍ.

فهؤلاء هم أفضلُ الصحابةِ بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهم الخلفاء الراشدون الأربعة الذين تولوا أُمور المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفضلهم على ترتيبهم في الخلافةِ فأولُ الخلفاء أبو بَكرٍ ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعا.

* فأبي بكر الصديق واسمه عبدالله بن عثمان تولى الخِلافةَ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنة إحدى عشر من الهجرة النبويةِ إلى السنة الثالثة عشر من الهجرة.

* وعمر بن الخطاب الفاروق تولى الخِلافةَ من بعد وفاة الصديق سنة ثلاثة عشر من الهجرة إلى السنة الثالثة والعشرين من الهجرة.

* وعُثمان بن عفَّان رضي الله عنه تولى الخلافةَ من بعد وفاة الفاروق في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة إلى السنة السادسة والثلاثين من الهجرة.

* وعليٌّ رضي الله عنه تولى الخلافةَ من بعد وفاة عُثمان في السنة السادسة والثلاثين من الهجرة ، إلى سنة أربعين من الهجرة.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

وإنَّهُمُ للرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيْهِمُ * عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بالنُّوْرِ تَسْرَحُ

سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحَةٌ * وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

الشرح : وإنهم : أي أولئك الأربعة الذين سبق ذكرهم : للرَّهْطُ ، الرَّهْطُ ، هم جماعةٌ لا يتجاوزُ عددهُم العَشَرَة فكل جماعةٍ لا يتجاوزُ عددهم عشرة يُقال لهم رَّهْط وقول الناظم للرَّهْطُ ، في بعض النُسخ والرهط ، فيكون المعنى أن أولئك الأربعة ، والجماعة الذين ذكرهم في البيت التالي وعددهم ستة ، كلهم لا شك أنهم من أهلِ الجنة كما صحَّ في الحديث ، على نُجُب والنُجُب جمع نجيب وهو أكرم المال وأنفسه ، والمقصودُ أنهم في الجنة على أفضل المراكبِ من الجمالِ أو الخيولِ أو غير ذلك يركبونها في الجنة يطيرون بها و يسرحون حيث شاءوا وأرادوا.

فهؤلاءِ الصحابةُ هم أفضل الصحابة وهم المعروفون بالعشرة المبشِّرين بالجنة ، كما جاء في سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عشرةٌ في الجنَّةِ : أبو بَكرٍ في الجنَّةِ ، وعُمرُ في الجنَّةِ ، وعليٌّ وعثمانُ والزُّبَيْرُ وطلحةُ وعبدُ الرَّحمنِ وأبو عُبَيْدةَ وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ ».

قالَ : فعدَّ هؤلاءِ التِّسعةَ وسَكَتَ عنِ العاشرِ ، فقالَ القومُ : ننشدُكَ اللَّهَ يا أبا الأعورِ منِ العاشرُ ؟ قالَ : نشدتُموني باللَّهَ ، أبو الأعوَرِ في الجنَّةِ»[1].

قال الترمذي : أبو الأعور هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

---

(١) أخرجه : ، أبو داود (ح٤٦٤٨) والترمذي (ح٤٠٨١) والنسائي في السنن الكبرى (ح٨١٣٩) وابن ماجه بنحوه (ح ١٣٤) ، وقد حاول أحد المبتدعة الأغمار الطعن في صحة الحديث فرددت عليه برسالة "سل السنان في نحر من طعن بحديث العشرة المبشرين بالجنان" فانظره غير مأمور للفائدة.

فسعيدٌ هو سعيد بن زيد ، وسعدٌ هو سعد بن أبي وقاص ، وابُن عوفٍ هو عبدالرحمن بن عوف ، وطلحة وهو طلحة ابن عُبيدالله ، وعامر فهر هو أبو عُبيدة عامر بن الجراح الفهري القرشي ، والزبير هو الزبير ابن العوام رضي الله عنهم جميعًا وحشرنا معهم.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالىٰ :

وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ ** ولا تَكُ طَعَّاناً تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ

الشرح : قل أيُها السنيُّ في الصحابةِ خُير الكلام واعتقد فيهم خيرُ الاعتقاد ، ولا تطعن في أحدٍ منهم ، فإن الطعنَ في واحدٍ من الصحابةِ علامةٌ علىٰ الانحرافِ والابتداعِ.

قال الإمامُ أحمد رحمه الله: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوءٍ فاتهمه علىٰ الإسلام»[1] وقال الإمام مالك رحمه الله عن هؤلاء – الذين يسبُّون الصحابة: «إنما هؤلاءِ أقوامٌ أرادوا القدحَ في النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فلم يُمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابهِ؛ حتىٰ يُقال رجُل سُوءٍ، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابُهُ صالحين»[2] اهـ

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله: «إذا رأيت الرجل ينتقصُ أحداً من أصحابِ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فاعلم أنه زِنديق، وذلك أن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدىٰ إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شُهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة»[3] اهـ

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١/ ٤٥٠) ط الأولى ، دارهجر ، تحقيق التركي.

(٢) انظر : الصارم المسلول (ص٥٨٠) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(٣) انظر : الكفاية للخطيب البغدادي (١/ ١٧٦) ط الأولى.ابن الجوزي ، تحقيق ماهر الفحل.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ** وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ

الشرح : يعني قد تكلم الوحي: وهو القرآن والسنة ، في فضل هؤلاء الصحابة ، ففي القرآن آيات كثيرة ، منها ما ذكرها الناظم بقوله : وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ، يعني في سورة الفتح آية تبين فضل الصحابة قال سبحانه وتعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح :٢٩].

وفي السُنةِ الصحيحة مثل حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تسُبُّوا أصحابي ، فلو أن أحَدَكَمْ أنفقَ مِثْلَ أُحدٍ ذهبًا ، ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه »(١) وقوله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ .. »(٢)

*****

---

(١) أخرجه : البخاري (ح٣٦٧٣) من رواية أبي سعيد ، و مسلم (ح٢٥٤٠)من رواية أبي هريرة.

(٢) أخرجه : البخاري (ح٢٦٥٢) ومسلم (ح٢٥٣٣).

(الإيمان بالقدر)

وبِالقَدَرِ المَقْدُورِ أيْقِنْ فإنَّهُ * دِعَامَةُ عَقْدَ الدِّينُ والدِّينُ أفْيَحُ

الشرح: في هذا البيت يتكلم الناظم رحمه الله تعالى عن مسألة الإيمان بالقدر ، وكما هو معلوم فإن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان الستة كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : « أنْ تُؤْمِنَ باللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ »(١) ، والقدر هو "الإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بعلم الله وكتابته ومشيئته وخلقه له " ، فأيقن واعتقد أيها السني بركن الإيمان بالقدر خيره وشره ، وقد ذكر الناظم الإيمان بالقدر ؛ لأن هناك طوائف قد ضلت وانحرفت في الإيمان بهذا الركن ، فمن علامة السني أن يؤمن بالقدر خيره وشره.

وقوله : دِعَامَةُ ، أي ركن ، فالإيمان بالقدر خيره وشره إيمان بركن من أركان الإيمان فإن لم تؤمن به لا يصح إيمانك ولو أمنت بجميع الأركان الباقية.

فمن الذين ضلوا في مسألة الإيمان بالقدر ، طائفة كانت في زمن الصحابة رضي الله عنهم ، ينفون علم الله عز وجل بالأشياء حتى تقع ، ويقولون أن الله عز وجل لم يقدّر الأشياء وإنما إذا وقع الشيء عَلِمَه الله سبحانه وتعالى! وقد حكم السلف بكفرهم ؛ كونهم ينفون علم الله عز وجل.

فعن يحيى بن يعمر، قال: كانَ أَوَّلَ مَن قالَ في القَدَرِ بالبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الجُهَنِيُّ، فانْطَلَقْتُ أنا وحُمَيْدُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ الحِمْيَرِيُّ حاجَّيْنِ، أوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنا: لو لَقِينا أحَدًا مِن أصْحابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلْناهُ عَمَّا يقولُ هَؤُلاءِ في القَدَرِ، فَوُفِّقَ لنا عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ

---

(١) أخرجه : مسلم (ح٨).

بنِ الخَطَّابِ داخِلًا المَسْجِدَ، فاكْتَنَفْتُهُ أنا وصاحِبِي أحَدُنا عن يَمِينِهِ، والآخَرُ عن شِمالِهِ، فَظَنَنْتُ أنَّ صاحِبِي سَيَكِلُ الكَلامَ إلَيَّ، فَقُلتُ: أبا عبدِ الرَّحْمَنِ إنَّه قدْ ظَهَرَ قِبَلَنا ناسٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، ويَتَقَفَّرُونَ العِلْمَ، وذَكَرَ مِن شَأْنِهِمْ، وأنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أنْ لا قَدَرَ، وأنَّ الأمْرَ أُنُفٌ، قالَ: «فإذا لَقِيتَ أُولَئِكَ فأخْبِرْهُمْ أنِّي بَرِيءٌ منهمْ، وأنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، والذي يَحْلِفُ به عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ لو أنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فأنْفَقَهُ ما قَبِلَ اللَّهُ منه حتَّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ »[1] ،فكل شيء في الوجود بقضاء الله وقدره ، كما قال سبحانه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر : ٤٩] فكل شيء تفعله في هذه الدنيا بقدر ، وقد كتبه الله قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك »[2] اهـ

و اعلم رحمك الله تعالى فيما يتعلق بالإيمان بالقدر : أن له أربعة مراتب لا يصح الإيمان بالقدر خيره وشره إلا بها وهي : علم الله الأزلي ، والكتابة ، والمشيئة ، والخلق.

فالأولى : العلم : أن تؤمن أن الله عز وجل يعلم ما كان وما يكون فلا يخفى عليه شيء . كما قال الله سبحانه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق :١٢] وقال سبحانه ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام :٥٩]

الثانية : الكتابة : أن تؤمن أن الله عز وجل كتب كل شيء قال سبحانه﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر :٥٢-٥٣]

---

(١) أخرجه : مسلم (ح٨).

(٢) انظر : خلق أفعال العباد (ص٥٧٤) ط الثالثة. دار الحجاز . تحقيق فهد الفهيد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :« كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قالَ: وَعَرْشُهُ علَى المَاءِ »(١) ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »(٢)

الثالثة : المشيئة : أن تؤمن أن ما شاء الله عز وجل سيكون وما لم يشأ لن يكون قال جل جلاله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير :٢٩]

وقال سبحانه ﴿مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام :٣٩]

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن عباس رضي الله عنهما : « وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ »(٣)

الرابعة : الخلق : أن تؤمن أن الله عز وجل خالق كل شيء.

قال سبحانه ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام :١٠٢] والأدلة كثيرة وما سبق فيه كفاية.

ولعل سائل يسأل : ما دام أن الله عز وجل كتب كل شيء فأنا إذن مجبور على فعل ما كتبه الله عز وجل في اللوح المحفوظ؟!

والجواب : أن مقولة أن الإنسان مجبور على أفعاله هي عقيدة أهل البدع كالأشاعرة الذين يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله ، فهو كالريشة في مهب الريح ، لا إرادة له ولا مشيئة ، وهذا اعتقاد فاسد يلزم منه أن الله عز وجل يظلم عباده إذ أجبرهم على فعل المعاصي ثم يعاقبهم عليه ، لكن الصحيح أن الإنسان مخير ، له الإرادة

---

(١) أخرجه : مسلم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه : أبو داود (ح٤٧٠٠) وهذا لفظه ، والترمذي (ح٣٣١٩) وأحمد (ح٢٢٧٠٥) بنحوه. وصححه الألباني.

(٣) أخرجه : الترمذي (ح٢٥١٦) وقال حسن صحيح.

والمشيئة في فعل ما يشاء ، والله عز وجل بيّن طريق الحق وطريق الباطل ، ولذا أرسل الرسل وأنزل الكتب ليبينوا للناس الحق ويحذرونهم من الباطل ، وأما كتابة الله عز وجل أفعال عباده قبل أن يخلقهم ، فالله عز وجل بعلمه السابق واللاحق وإحاطته بكل شيء ، يعلم أنك ستفعل هذا الفعل المعين ، فكتبه عليك كونك أنت الذي اخترت فعله بمشيئتك وإرادتك وإنما الله عز وجل كتب هذا عليك لعلمه أنك ستفعله.

فالقصد : أن الإنسان مخير ، له إرادة ومشيئة ، والله عز وجل دلنا على طريق الحق وحذرنا من طرق الباطل ، وأنت يا عبد الله باختيارك وإرادتك تختار الطريق .

*****

(الإيمان باليوم الآخر)

ولا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيرًا ومُنْكَرًا * ولا الحَوْضَ والمِيزَانَ إنَّكَ تُنْصَحُ
وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضْلِهِ * مِنَ النَّارِ أجْسَادًا مِن الفَحْمِ تُطرَحُ
على النَّهرِ في الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ * كَحَبِّ حَمِيْل السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ
وإنَّ رسُولَ الله لِلخَلْقِ شَافِعٌ * وإنَّ عَذَابَ القَبْرِ بالحَقِّ مُوضَحُ

الشرح : يتكلم الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات عن بعض أحوال اليوم الآخر ، وهو الركن الخامس من أركان الإيمان الستة ، والإيمان باليوم الآخر هو الاعتقاد الجازم بصدق كل ما أخبر به الله جل جلاله في كتابه أو أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، فذكر الناظم في هذه الأبيات بعض الأحوال وهي ست مسائل: منكر ونكير ، والحوض ، والميزان ، وإخراج عصاة الموحدين من النار ، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، عذاب القبر ونعيمه.

فقول الناظم : ولا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيرًا ومُنْكَرًا ، أي لا تنكر لجهلك ، فجهلك بالشيء لا يلزم منه عدم وجوده ، لا تنكر وجود ملكين يأتيانك في قبرك عند دفنك ويسألانك ، وقد سماهما الناظم منكر ونكير.

وتسميتهما منكر ونكير ثبت كما في سنن الترمذي أنه حينما يوضع الميت في قبره : « أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا : المُنْكَرُ ، وَلِلآخَرِ : النَّكِيرُ »[1] فهما زرق العيون ، وسود الوجوه.

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : « والإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتتن في قبورها وتُسأل عن الإيمان والإسلام ، ومن ربه ومن نبيه ، **ويأتيه منكر ونكير** كيف شاء الله عز وجل ، وكيف أراد ، والإيمان به والتصديق به»[2] اهـ

وعلى فرض أنه لا يثبت تسميتهما بمنكر ونكير ، فالمهم هو الإيمان أن الإنسان بعدما يموت سيأتيه ملكان ويسألانه من ربه وما دينه ومن هذا الرجل الذي بعث فيهم ، سواء صح الحديث في تسميتهما أو لا ، وسيأتي الدليل على سؤال الملكين عند التعليق على مسألة عذاب القبر.

وأما **الحوض** : فإنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يوم القيامة سيكون هناك حوضًا يشرب منه المؤمنون ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، ورِيحُهُ أَطْيَبُ من المِسْكِ، وكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّماءِ، مَنْ شَرِبَ منهُ فلا يَظْمَأُ أَبَدًا»[3]

وأما **الميزان** : فكما قال ربنا جل جلاله : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون ١٠٢-١٠٣]

وقال سبحانه : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء :٤٧]

---

(١) أخرجه : الترمذي (ح١٠٧١).

(٢) انظر : أصول السنة للإمام أحمد .

(٣) أخرجه : البخاري (ح٦٥٧٩) واللفظ له ، ومسلم (٢٢٩٢).

فالميزان حقيقي وله كفتان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَّ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لاَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لاَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ ، قَالَ : **فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ** ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ »(١)

(إخراج عصاة الموحدين من النار)

وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضْلِهِ * مِنَ النَّارِ أجْسَادًا مِن الفَحْمِ تُطرَحُ

على النَّهْرِ في الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ * كَحَبِّ حَمِيْلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ

الشرح : أي قل واعتقد أيها السني إن الله عز وجل الجليل العظيم يُخرِجُ من النار بفضله ورحمته أقوامًا من المسلمين الموحدين قد دخلوا النار بسبب ذنوبهم حتى صاروا فحمًا من الاحتراق في النار ، فيلقون في ماء يسمى نهر الحياة ، فيعودون أفضل مما كانوا بعدما نالوا نصيبهم من العذاب بسبب ذنوبهم .

فالناظم رحمه الله تعالى ذكر في هذين البيتين عقيدة : "إخراج أهل المعاصي من المسلمين من النار" ، وهذه العقيدة أنكرها الخوارج والمعتزلة ، يقولون أن من دخل النار لا يخرج منها.

فرد عليهم أهل السنة والجماعة : أن العاصي الموحد الذي لم تخرجه ذنوبه من الإسلام هو تحت مشيئة رب العالمين وأرحم الراحمين ، إن شاء أدخله النار فعذبه بقدر ذنوبه ثم يخرجه من النار لأنه من أهل التوحيد ، وإن

(١) أخرجه : الترمذي (ح٢٦٣٩) وهذا لفظه. وقال : حسن غريب ، وابن ماجه (ح٤٣٠٠) وأحمد (ح٦٩٩٤) بنحوه ، وصححه الألباني.

شاء غفر له وعفى عنه ابتداءً فلا يدخل النار ، والقصد أن المسلم العاصي تحت مشيئة الله عز وجل ، وإن دخل النار فإنه لا يخلّد فيها ، بل يخرج منها لأنه موحد ، والدليل على هذا ما جاء في حديث الشفاعة الطويل ، الشاهد منه مما يدل على ما ذكره الناظم ، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، قَالَ: فَيُخْرَجُونَ، قَدِ امْتَحَشُوا، وَعَادُوا فَحْمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ، يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ »[1]

*(**امتحشوا**) من المحش وهو احتراق الجلد وظهور العظم.

*(**الحِبة**) بكسر الحاء نوع من بذور الصحراء وهو سريع النمو.

*(**حميل السيل**) ما يحمله ويجيء به السيل من طين ونحوه فإنه إذا جاءت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل نبتت في يوم وليلة فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب المعاصي من أهل التوحيد أنهم إذا ماتوا على المعاصي فإنهم وإن دخلوا النار فلا يخلدون فيها ، فمن قال بخلاف هذا القول فهو من أهل البدع.

---

(١) أخرجه : البخاري (ح٦٥٦٠) ومسلم (ح١٨٤) ، وأحمد (١١٥٣٣) وهذا لفظه.

(إثبات الشفاعة وعذاب القبر)

وإنَّ رسُولَ اللهِ لِلخَلْقِ شَافِعٌ * وإنَّ عَذَابَ القَبْرِ بالحَقِّ مُوضَحُ

الشرح : في هذا البيت من المنظومة مسألتان وهما : مسألة شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسألة عذاب القبر.

فأما المسألة الأولى هي الشفاعة :

فمعنى الشفاعة هو التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة ، والمقصود بالشفاعة هنا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم للخلق يوم القيامة وهي أنواع، منها -وهي أعظمها-، الشفاعة لبدء الحساب كما ورد في حديث الشفاعة الطويل أن الناس يذهبون لآدم عليه الصلاة والسلام ثم نوح عليه الصلاة والسلام ثم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم موسى عليه الصلاة والسلام ثم عيسى عليه الصلاة والسلام فكلهم يعتذرون فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : « فَيَأْتُونِي فأَسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، فإذا أنا رَأَيْتُهُ وقَعْتُ ساجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللَّهُ.فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ ..»[1] وهو المقام المحمود ، ولذا علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول هذا الدعاء بعد كل أذان فقال عليه الصلاة والسلام : « مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ »[2] ، والشفاعة عمومًا لا تكون إلا بشرطين :-

الأول : إذن الله عز وجل للشافع أن يشفع كما قال جل جلاله : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ : ٢٣]

الثاني : رضى الله عز وجل عن المشفوع ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]

---

(١) أخرجه : البخاري (ح٧٤١٠) ومسلم (١٩٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه : البخاري (ح٦١٤).

والشفاعة[١] نوعان : شفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وشفاعة عامة.

*فالشفاعة العامة هي للنبي صلى وعليه وسلم ولغيره من الملائكة والنبيين والصالحين ، مثل الشفاعة لإخراج عصاة الموحدين من النار ، والشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة فوق منزلتهم ، والشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب.

*وأما الشفاعة الخاصة فأعظمها :الشفاعة العظمى وهي الشفاعة لبدء الحساب يوم القيامة ، والشفاعة في دخول أهل الجنة للجنة ، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب في تخفيف عذابه فيوضع في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه.

وأما المسألة الثانية وهي : عذاب القبر ، قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر، فقال: «نعم، عذاب القبر حق»، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة بعد إلا تعوذ من عذاب القبر[٢].

فالمقصود بهذا البيت الرد على من ينكر وجود عذاب في القبر ونعيمه ، وهذا الحديث الآتي فيه دلالة على الملكين منكر ونكير ، وعلى عذاب القبر ونعيمه :-

فعن البراء بن عازب ، قال : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ ، وَلَمَّا يُلْحَدْ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : « اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ» ، أَوْ ثَلاَثًا ، ثُمَّ قَالَ : «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ،

---

(١)الكلام عن الشفاعة قد أفردت لها كتب منها على سبيل المثال" الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين فيها " للدكتور ناصر بن عبدالرحمن ، فليرجع إليه من أحب الاستزادة.

(٢) أخرجه : النسائي (ح١٣٠٨) وصححه الألباني.

اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ» .

قَالَ : «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا ، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ» قَالَ : «فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلاَ يَمُرُّونَ ، يَعْنِي بِهَا ، عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ، إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ» .

قَالَ : «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِيَ الإِسْلاَمُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ» قَالَ : «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا ، وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ» .

قَالَ : «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي ، وَمَالِي» .

قَالَ : « وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ،مَعَهُمُ الْمُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ» .

قَالَ : «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ ،

فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ، إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ ، فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ» ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا .

ثُمَّ قَرَأَ : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا ، وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ .»(١)

*****

(١) أخرجه : أبو داود (ح٤٧٥٣) ، أحمد (١٨٥٣٤) وهذا لفظه وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح.

(الحذر من تكفير المسلمين بمجرد المعصية والتحذير من مذهب الخوارج والمرجئة)

ولا تُكَفِّرَنْ أهلَ الصلاةِ وإنْ عَصَوْا * فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرْشِ يَصْفَحُ
ولا تَعْتَقِدْ رأيَ الخَوارجِ إنَّهُ * مَقَالٌ لِمَن يَهْوَاهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ
ولا تَكُ مُرجِيًّا لَعُوْبًا بِدِيْنِهِ * ألا إنَّما المُرْجِيُّ بالدِّيْنِ يَمْزَحُ

الشرح : يتكلم الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات عن حكم مرتكب الكبيرة ، وذكر في هذه المسألة ثلاثة أقوال لثلاثة طوائف ، طائفة أهل السنة والجماعة ، ثم طائفة الخوارج ، ثم طائفة المرجئة.

قول الطائفة الأولى : وهم أهل السنة والجماعة ، وهو أعدل الأقوال وأوسطها وخلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة : أن مرتكب المعاصي التي هي دون الشرك والكفر ، لا يكفر وإنما هو فاسق بمعصيته ، مستحق للعذاب من ربنا شديد العقاب ، وهو تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء عذبه وأدخله الجنة وإن شاء غفر له ورحمه ما دام أنه لم يقع في الكفر والشرك المخرج من الملة.

فقول الناظم رحمه الله تعالى :

ولا تُكَفِّرَنْ أهلَ الصلاةِ وإنْ عَصَوْا * فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرْشِ يَصْفَحُ

أي لا تكفر -أيها السني- أهل الصلاة وإن وقعت منهم المعاصي ، وفي نسبة أهل المعاصي لأهل الصلاة فيه إشارة على أن تارك الصلاة غير مسلم ، وأما من يحافظ على صلاته ويقع في الذنوب والمعاصي التي هي دون الشرك والكفر فهو مسلم ما دام لم يقع في ناقض من نواقض الإسلام.

وقوله : فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرْشِ يَصْفَحُ ، فكل الناس يقعون في الذنوب والخطأ ، وكأن الناظم رحمه الله تعالى يشير إلى الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »[1]

وذو العرش : أي ربنا جل جلاله الذي فوق عرشه ، يصفح ، أي يغفر ويعفو ، قال الله جل جلاله :
﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر :٥٣]
وفي الحديث القدسي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالَى يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً »[2]

وأما الطائفة الثانية : فهم الخوارج ، والخوارج طائفة مبتدعة لهم أصول وعقائد مخالفة للكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح ، فمن هذه المخالفات : قولهم بكفر صاحب المعصية ، فكل من يقع في معصيةٍ ، فهو كافر عندهم ، فإن مات على معصيته هذه التي هي دون الكفر والشرك ، فإنه مخلد في جهنم والعياذ بالله ، ثم هم طوائف كثيرة متعددة ، ذُكِرَ نشأتهم وفرقهم وأقوالهم في كتب عديدة منها على سبيل المثال كتاب **"الفصل في الملل والنحل "** لابن حزم رحمه الله تعالى ، و**" فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام "** للدكتور غالب العواجي رحمه الله تعالى.

---

(١) أخرجه : الترمذي (ح٢٤٩٩) وابن ماجه (ح٤٢٥١) وأحمد (١٣٠٤٩) وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه : الترمذي (ح٣٥٤٠) وهذا لفظه ، وأحمد (ح١٣١٩٣) وصححه الألباني.

وقول الناظم رحمه الله تعالى : ولا تَعْتَقِدْ رأيَ الخَوَارجِ إنَّهُ * مَقَالٌ لِمَن يَهْوَاهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ
فالناظم ينهاك ويحذرك من اعتقاد رأي الخوارج عمومًا ، ومن مسألة تكفير العصاة من المسلمين المصلين خصوصًا ، ويخبرك أن معتقد الخوارج مبني على رأيٍ مبني على الهوىٰ ، فهو يُردي : أي يُهلك ، من يأخذ بهذه الآراء.

وأما **الطائفة الثالثة** : فهم المرجئة ، والمرجئة على نقيض الخوارج ، فهم لا يحكمون بالكفر حتىٰ لو وقع المسلم في الكفر ، والمرجئة من الإرجاء ، وهو في اللغة بمعنىٰ التأخير ، وفي الاصطلاح تأخير وإخراج العمل من مسمىٰ الإيمان ، يعني من تعريف الإيمان ، فكما هو معلوم أن تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة : هو قول وعمل واعتقاد ، يزيد وينقص ، والعمل من الإيمان ، يعني الإنسان لابد له من الأعمال التعبدية سواء الأعمال القلبية أو أعمال الجوارح ، حتىٰ يكون الإنسان مؤمنًا ، وسيأتي قريبًا الكلام عن هذه المسألة ، أما المرجئة فكلهم يقولون إن الإنسان ولو لم يعمل لكن يكفي أنه يعرف الله تعالى ، وبعضهم يقول يكفي أنه يصدق بقلبه ، وبعضهم يقول يكفي أنه ينطق بلسانه ، وبعضهم يقول يكفي أنه يقول بلسانه ويعتقد بقلبه ، فهو مؤمن ولا يضره الوقوع في الذنوب والمعاصي ، وهذا معتقد خبيث من ثماره انتشار الفواحش والذنوب والمعاصي في المجتمع ، فيكون أفسق الناس إيمانه مثل إيمان جبريل عليه الصلاة والسلام! ولذا أجاد الناظم رحمه الله تعالى في وصف هؤلاء المرجئة أنهم يلعبون بالدين ، فهو في الحقيقة لعب واستهزاء بدين الله عز وجل.

قال الناظم رحمه الله تعالى :-

ولا تَكُ مُرجِيًّا لَعُوْبًا بِدِيْنِهِ * ألا إنَّما المُرْجِيُّ بالدِّيْنِ يَمْزَحُ

فاحذر وإياك إياك من اعتقاد المرجئة ، فإنه لعب في الدين ، واستهزاء بأحكام رب العالمين ، وإلا فهل يعقل أن الإنسان مهما فعل من الذنوب والمعاصي يكون إيمانه مثل إيمان الصحابة ! بل مثل إيمان جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام ! وأنه لا يضره الوقوع في الذنوب والمعاصي ما دام أنه يعرف الله عز

وجل ، ولا يضره عدم الصلاة ولا الزكاة ولا الحج ولا الجهاد ، ما دام أنه يعرف الله في قلبه !
فلا شك أن هذا المعتقد تنبذه الفطر والعقول السليمة.

والخلاصة : يحذر الناظم في هذه الأبيات من التسرع في تكفير المسلمين عند وقوعهم في الذنوب والمعاصي ، ومجرد الوقوع في المعاصي لا يستلزم منه الكفر كما يقول بهذا الخوارج المبتدعة ، ولا أن الوقوع في المعاصي لا يضر العاصي كما يزعم المرجئة ، بل يضره وينقص إيمانه وهو متوعد بالعذاب من رب العالمين.

(عقيدة أهل السنة في الإيمان)

وقُلْ إنَّمَا الإيمَانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ * وفِعلٌ على قَوْلِ النَّبيِّ مُصَرَّحُ
ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمَعَاصِي وتَارَةً * بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزْنِ يَرْجَحُ

الشرح : يتكلم الناظم رحمه الله تعالى عن مسألة الإيمان وزيادته ونقصانه ، ففي الجملة : أهل السنة والجماعة يعرفون الإيمان فيقولون : أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، يزيد وينقص ، وأن العمل من الإيمان.
يعني داخل في مسمى الإيمان ، فلا يصح الإيمان بدون عمل ، وفي هذا رد على المرجئة ، فالمرجئة بطوائفها المتعددة كلهم يُخرجون العمل من مسمى الإيمان ، فيزعمون أن المسلم ولو لم يعمل فهو مؤمن ، فعلى سبيل المثال: هناك طائفة من المرجئة يقولون أن الإيمان هو المعرفة ، يعني يكفي أنك تعرف الله في قلبك فتكون مؤمنًا ، وهؤلاء هم غلاة الجهمية ، ويلزم على قولهم الفاسد أن إبليس مؤمن!
وطائفة من المرجئة يقولون أن الإيمان هو التصديق ، يكفي أنك تصدق بوجود الله فتكون مؤمن ولا تضرك المعاصي وهؤلاء الأشاعرة ! وطائفة من المرجئة يقولون أن الإيمان هو قول اللسان ، وهم الكرامية ويلزم على قولهم أن المنافقين مؤمنين لأنهم يقولون بألسنتهم ما لم تؤمن به قلوبهم !
وطائفة يقولون أن الإيمان قول واعتقاد وهم الذين يسمون بمرجئة الفقهاء ، وعمومًا جميع طوائف المرجئة يجعلون من لم يعمل مؤمن ، وهذا يخالف الكتاب والسنة ، إذ الإيمان لا يصح إلا بالعمل يقول الآجري رحمه الله

تعالى : « اعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم : أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا ، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمنًا ، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين»[1] اهـ

والكلام في هذه المسألة طويل ، والذي يهمك معرفته أيها السني السلفي هو : **أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن العمل من الإيمان ، أي داخل في مسمى الإيمان ، فلا يصح إيمان بدون عمل الجوارح وعمل القلوب.**

فتمسك بهذا القول وعض عليه بالنواجذ.

والناظم رحمه الله تعالى ذكر تعريف الإيمان فقال : وقل – أي قل واعتقد أيها السني : أن الإيمان قول ، ونية – أي اعتقاد – وفعل ، فالإيمان قول وعمل واعتقاد ، ثم قال : **على قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ** ، أي دل على هذا أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الأقوال ، قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الإِيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ[2] بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، فأَفْضَلُها قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وأَدْناها إِماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ »[3] فقولك : لا إله إلا الله ، هذا قول ، وإماطة الأذى عن الطريق هذا فعل ، وصفة الحياء عمل قلبي.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّما الأَعْمالُ بالنِّيَّةِ.. »[4] فهذا اعتقاد.

---

(١) انظر : الشريعة (٢/ ٦١١).

(٢) شك من الراوي.

(٣) أخرجه : البخاري (ح٩) ومسلم (ح٣٥) واللفظ له.

(٤) أخرجه : البخاري (ح٦٦٨٩) مسلم (ح١٩٠٧).

ثم ذكر أن الإيمان ينقص أحيانًا بسبب المعاصي ، ويزيد أحيانًا أخرى بالطاعات فقال : **وَيَنْقُصُ طَوْرًا بالمَعَاصِي وتَارَةً * بِطَاعَتِهِ يَنْمِي** – أي يزداد – **وفي الوَزْنِ يَرْجَحُ** – يعني يثقل العمل في الميزان يوم القيامة ، لزيادته بالطاعات والبعد عن المعاصي.

*فمن الأدلة على أن الإيمان يزيد ،قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال :٢] وكقوله جل جلاله ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة :١٢٤].

*ومن الأدلة على أن الإيمان ينقص ، قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ »[1] ووجه الدلالة من الحديث أن الذي يترك الإنكار بيده ولسانه دل ذلك على أنه ضعيف الإيمان ، وإن لم ينكر المنكر بالكلية – لا بيده ولا لسانه ولا بقلبه – ، فهذا ليس بمؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم : « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2]

أما المرجئة والخوارج فإنهم يقولون إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، بل إذا ذهب بعضه ذهب كله ، يعني إذا نقص إيمان العبد قليلا وقع في الكفر !

(١) أخرجه : مسلم (ح٤٩).

(٢) أخرجه : مسلم (٥٠).

(التحذير من تقديم الرأي على النصوص الشرعية)

وَدَعْ عَنْكَ آراءَ الرِّجَالِ وقَوْلَهم * فَقَوْلُ رَسُولُ الله أَوْلَى وأَشْرَحُ
ولا تَكُ مِنْ قَومٍ تَلْهُو بدِينِهِمُ * فَتَطْعَنَ في أَهْلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ

الشرح : تكلم الناظم رحمه الله تعالى عن مسألتين :-

الأولى : التحذير من تقديم آراء الرجال على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم.

والثانية : التحذير من الطعن والسخرية بأهل الاستقامة.

فالمسألة الأولى قال :

وَدَعْ عَنْكَ آراءَ الرِّجَالِ وقَوْلَهم * فَقَوْلُ رَسُولُ الله أَوْلَى وأَشْرَحُ

فهو أولى بالاتباع لأن الله عز وجل سيسألنا ماذا أجبنا المرسلين ولن يسألنا ماذا أجبنا العالم والشيخ والرئيس. فاحذر إن جاءك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ترد الحديث لرأيك أو رأي فلان وفلان من الناس فإن هذا ضلال مبين ، يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : «أجمع المسلمونَ على أن من استبانت له سنةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكنْ له أن يدعها لقول أحد»(١) اهـ

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : «عَجِبتُ لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته(٢) يذهبون إلى رأي سفيان(٣) ، والله تعالى يقول ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ » [النور :٦٣]...

---

(١) ذكره ابن القيم في كتابه "إعلام الموقعين" (١/ ١١) ط. دار ابن الجوزي.

(٢) يعني يعرفون كيفية تميز الحديث الصحيح من الضعيف ومع ذلك يتركون هذا ويأخذون بالآراء المخالفة للنصوص.

(٣) وسفيان إمام من أئمة المسلمين ومع ذلك يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى هذا الكلام ؛ لأنه لا تقديم لقول أحد على قول النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن جاءك الحديث فالزم.

والمسألة الثانية قال :

ولا تَكُ مِنْ قَومٍ تَلْهُو بدِينِهِمُ * فَتَطْعَنَ في أَهْلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ

الشرح : أي احذر أيها السني ويا من هداك الله لاتباع منهج السلف أن تكون : **مِنْ قَومٍ تَلْهُو بدِينِهِمُ** ، يعني ممن اتخذ دينه لعبا ولهوا فلا فرق عنده بين حلال ولا حرام ، وهذا يشمل أهل البدع وأهل الفسق ، والنتيجة : السخرية والاستهزاء بأهل الدين والاستقامة من الصالحين ، قال جل جلاله ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) ﴾ [المطففين : ٢٩- ٣١]

ثم ختم الناظم رحمه الله تعالى منظومته فقال :

إذا ما اعْتَقَدتَ الدَّهْر يا صَاحِ هَذِهِ * فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

الشرح : إذا آمنت إيمانًا جازمًا لا شك فيه ولا ريب طوال حياتك بهذا المعتقد السني الذي ذكر الناظم رحمه الله تعالى بعضه فيما سبق ، فأنت على خير مساءً وصباحًا نائمًا وقاعدا ، ذكر الذهبي رحمه الله تعالى في كتابه(سير أعلام النبلاء) : عن يحيى بن عون، قال: «دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، فقال: ما هذا القلق؟ قال له: الموت والقدوم على الله.قال له سحنون: ألست مصدقا بالرسل والبعث والحساب، والجنة والنار، وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يرى يوم القيامة، وأنه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف، وإن جاروا. قال: إي والله.

فقال: مت إذا شئت، مت إذا شئت. »[١] اهـ أي اطمئن ولا تخف من الموت فأنت على خير اعتقاد.

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٧).

فهذه تعليقات مختصرة على منظومة الحائية ، وليس القصد منها التطويل الممل وأرجو أنها ليست من التقصير المخل ، وإنما يكفي فيها ما يوضح المقصود من هذه الأبيات النافعة.

والله عز وجل أسأل لنا ولكم الثبات على الإيمان ويرزقنا حسن الختام، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تم الفراغ من الشرح عصر الثلاثاء ٧/ صـ ٢ ــفر / ١٤٤٠هـ